

الليلية من طائفتين من المقاتلين، طائفة لها الدراية بالطعن والضرب وأخرى حكيمة عاقلة مطاعة، فإذا ما وفقت هذه الغارة الليلية فى تثبيت جموع العدو، وقلع خيامهم وتشريد خيولهم، وإلقاء الرعب فى قلوبهم فقد حمت الجيش كله، وكفته مشقة خوض المعركة (١) وجميل منه فى الأبيات الأواخر من تلك القصيدة أن يقص علينا ما رأى فى رؤياه. لقد ذكر أن النبى ﷺ حباه عصاه فاعتصم بها، بذلك يذكرنا بالبوصيرى الذى أصابه الفالج، ونظم قصيدته واستشفع بها الله أن يعافيه فرأى النبى ﷺ فى المنام، فمسح وجهه بيده المباركة وألقى عليه برده، ولما أصبح مسح الله ما به من أذى، وتلك روحانية رقراقة عند هذا الشاعر الحديث وذلك الشاعر القديم. يقول البارودى:

فهمه الغزوات الغر شاملة	جمع البعوث كدر لاح فى نظم
نظمتها راجيا نيل الشفاعة من	خير البرايا ومولى العرب والعجم
حسبى بطلعته الغراء مفخرة	لما التقيت به فى عالم الحلم
وقد جابنى عصاه فاعتصمت بها	فى كل هول فلم أفزع ولم أهم
فهى التى كان يحبو مثلها كرما	لمس يود وحسبى نسبة بهم

وهكذا يرشد الرمز إلى الحقيقة ويسمو عالم الروح على عالم المادة وتنعقد صلة بين هذين العالمين.

وبعد البارودى يذكر شوقى خاصة أن هذين الشعارين يذكران ضرورة لدى كل من أرخى نظرة إلى تاريخ الشعر العربى، أو على التحديد تتبع تطوره من شعر عربى تقليدى يضرب فيه الشعراء على قالب القدماء وينظرون إلى شعرهم على أنه قالب يحتذى، فالبارودى هو من له الريادة فى الشعر العربى الحديث، ويتلوه فى ذلك شوقى، فهما متلازمان.

وشوقى شاعر العربية بكل ما تتسع الكلمة له من معنى، وهو من يقلب شعره فى شعون المسلمين قاطبة، يؤرخ حوادثهم متبعا إياها فى حرص بالغ على تتبعها، فاستلزم ذلك منه أن يقول شعرا فيما يجمع المسلمين على الدين الخفيف وله فى المناسبات الدينية كل رائعة.

أما ما نقصد إليه فى هذا المقام فهو ذكره لمغازى الرسول ﷺ، فى قصيدتين عصماوين: أولاهما الهمزية النبوية، والأخرى نهج البردة. وهما رائعتان مشهورتان ولذلك دخلتا الغناء الذى رادهما حسنا على حسن وشهرة على شهرة.

(١) مبارك شاه. آداب الحرب والشجاعة، ترجمة الدكتورة ثريا محمد على ص ١٦ القاهرة ١٩٩٢م